دافع الانتماء وسلوكياته

وأثر التدين عليه من خلال الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن

إعداد

يوسف علي حسن بدر المغربة

باحث دكتوراه في أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا – ماليزيا

الدكتور/ ثابت أحمد عبد الله أبو الحاج والدكتور/ صديق بن عريفين

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا – ماليزيا

ملخص البحث:

يُعَدُّ دافعُ الانتماء مطلبًا مُلِحًّا عند كل إنسان لتحقيق الأمن النفسي، غير أن السلوكيات الناتجة عن هذه الحاجة تُؤثر سلبًا على أمن الناس؛ حيث حملت الكثير على العنصرية الظالمة، فإشكالية البحث: هل للتدين أثر على دافع الانتماء، بحيث يُعدل سلوكيات الأشخاص المتدينين رغم اختلاف ولاءاتهم؟ والهدف الرئيس للبحث: إثبات أثر التدين على دافع الانتماء بعد بيان ماهية دافع الانتماء وأهميته للفرد والمجتمع. وذكر البواعث النفسية له. وإظهار آثار الانتماء الإيجابية والسلبية. فتبرز أهمية البحث مع سيطرة المادية على حياة الناس، وغفلتهم عن أثر التدين في تعديل السلوك؛ فيُحرَمون من الأمن النفسي الذي يكون مع التدين الصحيح الموافق للفطرة، والقائم على الإيمان بالله وجميع رسله وكتبه، وهو التدين بدين الإسلام، ومنهج البحث: المنهج الوصفي الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي التحليلي. ومن أهم نتائج البحث أن أكبر آثار هذا التدين: تقديم الانتماء للإسلام على كل انتماء؛ لأنه دين البشرية جمعاء، وانتسابُها إليه انتسابٌ للحق، مع الاعتراف ببقية الانتماءات التي لا تُناقضه، ولهذا أثر كبير على سلوك الإنسان المنتمي لأي جهة كانت، وحقيقته أن يكون الله وجميع رسله أحب إلى الإنسان مما سواهم، وعليه يعقد الولاء والبراء؛ وبهذا يتخلص من الوقوع في العصبية المذمومة ومن الوقوع في الهوى والظلم، والكبر والفخر، ويتحلى بالشكر، وتتوحد صفوف البشرية بتوجيه الخلافات في إطار الأُخوة المقدسة، ويتحلى المتدين بالعدل المجرد عن الانتماءات.

كلمات مفتاحية: الدافع، الانتماء، السلوكيات، التدين.

Abstract

Defended of Affiliation his behavior and the impact of religiosity on him through the first five parts of the Quran, prepared by: Youssef Ali Hassan Badr al-Mughraba, supervised by: Dr. Thabet Ahmad Abdullah Abu Al-Hajj and Dr. Seddik bin Oraifin.The motive of belonging is an urgent requirement for every person to achieve psychological security, but the behaviors resulting from this need negatively affect the security of people, as it has carried a lot on unjust racism, the problem of research: Does religion have an impact on the motive of belonging, so that it modifies the behavior of religious people despite their different loyalties? The main objective of the research is to demonstrate the impact of religiosity on the motive of belonging, after explaining what the motive of belonging and its importance for the individual and society. and mentioned the psychological motives for him. And show the positive and negative affiliation effects. The importance of research is evident with the domination of materialism on the lives of people, and their neglect of the impact of religiosity in modifying behavior, so they are deprived of psychological security that is with the correct religiosity corresponding to common sense, and that is based on faith in God and all his messengers and books, which is religiosity in the religion of Islam, and the greatest effects of this religiosity: providing belonging to Islam On all affiliation. Because it is the religion of all humankind, and its affiliation with it makes its affiliation with the truth recognized, while recognizing the remaining affiliations that do not contradict it. This has a great impact on the behavior of the human being belonging to any party. And its truth is that God and all of his messengers are more loved to man than others, and on him he complicates loyalty and innocence, and by this he gets rid of falling into disgraceful nervousness and from falling into passion and injustice, from arrogance and pride, and thanks and unites the ranks of mankind by directing disputes within the framework of the Holy Brotherhood, and the devout be fair. About affiliations.

١.مقدمة

١ .١ تمهيد:

إن من الدوافع النفسية ما هو فطري أوليٌّ ينتقل إلى الفرد عن طريق الوراثة البيولوجية، أو الفطرة الجِبِلِّيَّة؛ فلا يحتاج الفرد إلى تعلمه واكتسابه، كدوافع التدين والجوع والعطش والنوم والجنس والطوارئ، ومنها ما هو مكتسب ثانوي، أي: يكتسبه الفرد نتيجة لخبرته اليومية أثناء تفاعله مع بيئته –خاصة الاجتماعية–، وتعلمِه المقصود وغير المقصود، كالأمن النفسي والشعور بالواجب، أو عاطفة احترام الذات، أو دافع التملك، أو الانتماء، هذا هو التقسيم الذي عليه كثير من علماء النفس.

وإذا كانت الحاجات العضوية –الفسيولوجية– والفطرية ضروريةً للمحافظة على بقاء الفرد ونوعه؛ فالحاجات النفسية الاجتماعية ضروريةٌ لسعادة الفرد وطمأنينته[(١)].

ويُعَدُّ دافع الانتماء مطلبًا ملحًّا عند كل إنسان على هذه الأرض لتحقيق الأمن النفسي، غير أن الناس يختلفون في السلوكيات الناتجة عن هذه الحاجة.

وفي هذا البحث سيتطرق الباحث إلى معرفة أهمية دافع الانتماء، وبواعثه، وآثاره السلوكية، وأثر التدين عليه.

١ .٢ أسباب اختياره:

وسبب اختيار الباحث لهذا الموضوع هو: أهميته المتعلقة بالأمن النفسي للأفراد والمجتمعات؛ فإن السلوكيات السيئة الناتجة عن الخلل في التعامل مع دافع الانتماء تُعَرِّضُ أمن الناس للخطر، ويظهر ذلك جليًّا في العنصرية الدينية والوطنية والحزبية التي انتشرت في كل مكان.

١ .٣ إشكالية البحث:

(١) انظر: راجح. د. أحمد عزت. **أصول علم النفس**. (القاهرة. دار المعارف. ط. الحادية عشرة ١٩٩٩م)، ص٧٨، ١١٠، ١١٢.

هل للتدين أثر على دافع الانتماء بحيث يعدل سلوكيات الأشخاص المتدينين رغم اختلاف ولاءاتهم؟

١ .٤ أسئلة البحث:

السؤال الرئيس في البحث: هل للتدين أثر على دافع الانتماء؟ وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

س١/ ما دافع الانتماء؟ وما أهميته للفرد والمجتمع؟

س٢/ ما البواعث النفسية لدافع الانتماء؟

س٣/ ما آثار الانتماء الإيجابية والسلبية؟

س٤/ ما أثر التدين على دافع الانتماء؟

١ .٥ أهداف البحث:

الهدف الرئيس للبحث: إثبات أثر التدين على دافع الانتماء، وتتفرع عنه الأهداف الآتية:

١/ بيان ماهية دافع الانتماء وأهميته للفرد والمجتمع.

٢/ ذكر البواعث النفسية لدافع الانتماء.

٣/ إظهار آثار الانتماء الإيجابية والسلبية.

٤/ إثبات أثر التدين على دافع الانتماء.

١ .٦ أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال:

أ. ما نرى من أثر الانتماءات المختلفة على السلوك الإنساني؛ حيث حملت الكثيرَ على العنصرية الظالمة التي تحرم الكفاءات من درجاتها المناسبة لها لمجرد مخالفة الانتماء.

ب. وحيث إن العالم اليوم يَعُجُّ بمشاكل العنصرية، فإن إيجاد حل لهذه المشكلات مهم لتتخلص المجتمعات من تلك الآثار السيئة.

ت. ومع سيطرة المادية على حياة الناس، فإن غفلتهم عن أثر التدين في تعديل السلوك تحرمهم من الأمن النفسي الذي يكون مع التدين الصحيح.

١ .٧ مصطلحات البحث:

أولًا: الدوافع لغةً:

الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تنحيَة الشيء؛ قاله ابن فارس رحمه الله: «يقال: دَفَعْتُ الشَّيءَ أدفعُه دفْعًا. ودافع الله عنه السُّوءَ دِفاعًا. والدَّفْع: الإزالة بِقُوَّةٍ. دَفَعَه يَدْفَعُه دَفْعًا ودَفاعًا ودافَعَه ودَفَّعَه فانْدَفَع وتَدَفَّع وتَدافَع.

هذا هو المعنى الحقيقي للدفع، وعليه فالدافع: هو الذي ينحِّي الشيء ويُزيله بقوة»[(١)].

وعليه، فإن الدوافع النفسية ربما كانت عبارة غير دقيقة؛ لأن الدافع عند علماء النفس هو المثير للسلوك، ولعل أقرب المصطلحات إلى معنى الإثارة هو: البعث، وأصله عند علماء العربية: الباء والعين والثاء، وهو أصل واحد، وهو الإثارة، ويُقال: بعثتُ الناقة، إذا أثرتَها. كذا قال ابن فارس رحمه الله. يُقال: انْبَعَثَ فلانٌ لشأْنه، إذا ثار ومَضَى ذاهبًا لقضاء حاجَته. وبَعَثَه على الشيء: حمله على فِعْله. وانْبَعَثَ الشيءُ وتَبَعَّثَ: انْدَفَع.. وتأْويلُ

(١) انظر: الأزهري. أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد، **تهذيب اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة. الدار المصرية للتأليف والترجمة. (د. ت) (٢/ ٢٢٦)، الجوهري. إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (٣/ ١٢٠٨)، ابن فارس. أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون (بيروت. دار الفكر. ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) ٢/ ٢٨٨، الزمخشري. محمود بن عمر. أساس البلاغة. (بيروت. دار النفائس. بيروت. ط. الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) ص١٩٠، ابن منظور، أبو الفضل؛ جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي. لسان العرب. (بيروت. دار صادر ط. السادسة ٢٠٠٨م) (٥/ ٢٧٤).

البَعْثِ: إزالةُ ما كان يَحْبِسُه عن التَّصَرُّف والانْبِعاثِ. وانْبَعَثَ: هبَّ واندفع، وفي السَّيْر: أَي أَسْرَع، وانبعث لحاجته: نهض لها[١].

وعليه: فإن التعبير بـ"**البواعث النفسية**" أكثر دقة من التعبير بـ"**الدوافع النفسية**"، غير أن الخطأ المشهور يُقَدَّمُ على الصواب المهجور.

الدوافع النفسية اصطلاحًا: بالنظر إلى تعريفات الدوافع النفسية عند مجموعة من العلماء، وإلى عناصر بحث الدوافع في كتب علم النفس؛ فإن التعريف المختار للدوافع النفسية أن يُقال:

هي بواعث داخلية عضوية (فسيولوجية)، ونفسية (سيكولوجية)[٢]، تنشأ عن اختلال في التوازن البدني أو في التنظيم الذاتي، تثير السلوك وتفسره، وتوجهه حتى ينتهي إلى غاية معينة[٣].

ثانيًا: الانتماء لغة:

---

(١) انظر: الأزهري. **تهذيب اللغة** (٢/ ٣٣٤- ٣٣٥)، الجوهري. الصحاح (١/ ٢٧٣)، ابن فارس. معجم المقاييس (١/ ٢٦٦)، الزمخشري. أساس البلاغة (ص٤٤)، ابن منظور. لسان العرب (١/ ١٠٧-١٠٨)، مرتضى الزَّبيدي. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية. الكويت (٥/ ١٧٠)، مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. (مصر. مكتبة الشروق الدولية، ط. الرابعة. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م). ص٦٢.

(٢) الفسيولوجيا (**physiology**): هي علم وظائف الأعضاء. والسيكولوجيا (**psychology**): هي علم النفس. انظر: البعلبكي. منير. المورد قاموس إنكليزي عربي. (بيروت. دار العلم للملايين. بيروت. ٢٠٠٦م) ص٦٨٥، ٧٣٦.

(٣) انظر: راجح. **أصول علم النفس**. (ص٧٨ -٧٩)، مبيض. الدكتور مأمون. المدخل الميسر إلى علم النفس. (بيروت. المكتب الإسلامي. ط. الأولى ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م) ص١٦٢، بينيش. هيلموت. أطلس علم النفس. ترجمة: انطوان إ. الهاشم. (بيروت. المكتبة الشرقية، ط. الثانية ٢٠١٤م) ص ٢٥٣- ٤٥٦، نجاتي. د.مُحَمَّد عثمان. علم النفس والحياة. (الكويت. دار القلم. ط. الثامنة عشرة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) ص٨٣، دافيدوف. ليندا ل. مدخل علم النفس. ترجمة د. سيد الطواب، د. محمود عمر. (الولايات المتحدة. دار ماكجروهيل. ط. الثانية (د.ت.) ص٤٣١، الرجيب. د. يوسف علي فهد. علم النفس الاجتماعي (الكويت. ط. الأولى ٢٠٠٣م).

مِن: نَمَى يَنْمِي، وهو عند ابن فارس: أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، وذكر الأزهري والجوهري وغيرهما أن كل شيء رفعتَه فقد نَمَّيْتَه، وكل ارتفاع انتماء، تقول: انتمى الطائر ونحوه: ارتفع من موضعه إلى موضع آخر، وانتمى إلى الجبل: صعِد، وانتمى إلى كذا: انتسب، وهو من المجاز عند الزمخشري: فلان يَنْميه حسبُه، وقد نماه جَدٌّ كريم، فيقال: انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب.. وزاد ابن منظور معنى لطيفًا لـ(انتمى فلان إلى قوم)، أي: انتسب إليهم ومال وصار معروفًا بهم[1].

وإدوارد مواري يجعل الانتماء أحد ثلاثة عناصر:

١. أن ينجذب المرء إلى شخص آخر، وأن يستمتع بالتعاون معه أو بالتبادل معه، ويكون هذا الشخص الآخر شبيهًا بالمرء أو مُحبًّا له.
٢. أن يدخل السرور ويتودد إلى شيء محبوب.
٣. أن يتمسك بصديق ويظل مخلصًا له[2].

ويبدو أن تعريفه للانتماء اتجه نحو آثاره أكثر من تحقيق ماهيته، غير أنه يُستفاد من تعريفه بعد النظر في التعريف اللغوي عند علماء المسلمين الذي يشير إلى حقيقة الانتماء وإلى دوافعه النفسية، وعليه يختار الباحث تعريفًا للانتماء بأنه:

الانتماء اصطلاحًا: الانتساب إلى شخص أو جماعة شبيهة به أو محبة له، والميل إليهم؛ في محاولة للارتقاء بالذات بالتعريف بها من خلالهم.

فيدخل فيه الانتماء لدين، أو نسب، أو وطن، أو لون، أو غيرها، فالانتماءُ للوطن مثلًا يُوَلِّدُ عاطفة الولاء له كما يقول راجح، غير أن هذا الولاء يتكون من تكرار ارتباط

(١) انظر: الأزهري. **تهذيب اللغة** (١٥/ ٥١٧)، الصحاح (٦/ ٢٥١٥)، ابن فارس. معجم المقاييس (٥/ ٤٧٩)، الزمخشري. أساس البلاغة (ص٦٥٦)، اللسان (١٤/ ٣٦٣)، المعجم الوسيط (ص٩٨٦).

(٢) انظر: مواري. إدوارد. **الدافعية والانفعال**. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. (القاهرة. دار الشروق. ط. الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) ص١٩٠.

الوطن بمواقف تُرضي في المواطن دوافع كثيرة[١]. وقد يغلب الانتماء الديني أو المذهبي على انتمائه الوطني، وهذه الغلبة تكون أحيانًا إيجابية تحميه من العنصرية واحتقار الآخرين، وقد تكون سلبية تدعوه لخيانة وطنه وأهله.

ثالثًا: السلوك لغةً:

السين واللام والكاف أصلٌ واحد يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء. قاله ابن فارس، يُقال: سلكت الطَّريقَ أَسلُكُه. وسَلكت الشيء في الشيء: أنفذْته.

أما السلوك في أفعال الناس فهو مجاز كما يقتضيه كلام الزمخشري، فيُقال: ذهب في مسلك خفي، وخُذْ في مسالك الحق، وهذا كلام دقيق السِّلْك، أي: خفيُّ المسلك.

وعليه فالسلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسَن السلوك أو سيء السلوك.

السلوك في علم النفس: الاستجابة الكلية التي يُبديها كائن حي إزاء أيِّ موقف يواجهه. وهذا التعريف أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وعليه، فيشمل السلوكُ:

١- كل ما يفعله الإنسان ويقوله.

٢- كل ما يصدر عنه من نشاط عقلي، كالإدراك والتفكير والتخيل.

٣- كل ما يستشعره من تأثرات وجدانية وانفعالية؛ كالإحساس باللذة أو الألم، وكالشعور بالضيق أو الارتياح، بالخوف أو الغضب... مع ما يصاحب ذلك من أنشطة عضوية شتى.

فالسلوك -وهو الظاهرة النفسية-: نشاطٌ يقوم به الفرد وهو يتعامل مع بيئته ويتكيف لها[١].

(١) انظر: راجح. **أصول علم النفس** (ص١٢٣).

رابعًا: التدين لغة:

الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه ترجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والطاعة والذُّل. ودانَهُ دِينًا، أي أذلَّه واستعبده [٢].

وأما اصطلاحًا: فالدين الصحيح كما عرفه الجرجاني: وضْعٌ إلهيٌّ يدعو العقلاء إلى قبول ما عند الرسول من الوحي. فهو اسم لكل ما نتعبد الله به مما أجمله حديث جبريل الطويل، الذي سأل فيه رسولَ الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وقال رسول الله في آخر الحديث: «**فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمُكم دينكم**»؛ فالدين بعبارة واضحة يذكرها الطبري وابن عطية: هو العبادة والطاعة لله في أمره ونهيه. والتدين: اتخاذ الدين منهجًا[٣].

ولكن الدين عمومًا –بغض النظر عن كونه حقًّا أو باطلًا– هو كما قرر عالم النفس الأمريكي جيستون باريت: الاعتقادات والممارسات المشتركة التي يدفع إليها الاعتقاد بوجود نوع ما من الآلهة، وبعبارة أخرى: هو جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادًا أو عملًا.

١ .٨ الدراسات السابقة:

١. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. تأليف الشيخ مُحَمَّد الغزالي. دار الكتب الحديثة. مصر (د. ت).

=

(١) انظر: **تهذيب اللغة للأزهري** (١٣/ ٧)، الصحاح (٤/ ١٥٩١)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٧)، أساس البلاغة (ص٣٠٥)، لسان العرب (٧/ ٢٣٧-٢٣٨)، القاموس المحيط (ص٩٤٣)، تاج العروس (٢٧/ ٢٠٥-٢٠٨)، المعجم الوسيط، (ص٤٤٥)، راجح: أصول علم النفس (ص٢١، ٢٢- ٢٩، ٣٠).

(٢) **معجم مقاييس اللغة** (٢/ ٣١٩-٣٢٠).

(٣) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (٣/ ٥٧١)، ت**هذيب اللغة** (١٤/ ١٨١-١٨٥)، **الصحاح** (٥/ ٢١١٨-٢١١٩)، ابن عطية، **المحرر الوجيز** (١/ ٤٦٥)، أساس البلاغة (ص٢٠٠)، **لسان العرب** (٣٣٨-٣٤٠)، **القاموس المحيط** (ص١١٩٨)، **معجم التعريفات** (ص٩٢)، الحملاوي، **شذا العرف في فن الصرف** (ص٤٦).

محتوى الكتاب: قُسِّمَ الكتابُ إلى تسعة فصول، هي على الترتيب: الإسلام بين عدويه: العصبية والتعصب، المسلمون وأهل الذمة، أسلوب التوسع والمعاملة في تاريخ الديانتين، كيف دخلت المسيحية مصر؟ وكيف دخلها الإسلام؟ هل أضرت بالمسلمين سماحتُهم؟ افتراء من الألف إلى الياء، حقائق لا مندوحة عن ذكرها بين ملوك النصرانية ومماليك الإسلام؛ ماذا يريدون؟

والكتاب محوره: ذم العصبية والعنصرية الدينية، وبيان براءة الإسلام والمسلمين منها، ووقوع النصارى فيها، وتأييد كل ذلك بالشواهد التاريخية والمعاصرة.

الفائدة منه: استفاد الباحث من الكتاب في أثر التدين الصحيح على دافع الانتماء، وأثر التعصب على السلوك.

الفرق بينه وبين هذا البحث: والفرق في هذا البحث أنه يتحدث عن الانتماء عمومًا وآثاره، بينما الكتاب المذكور خاص بالانتماء الديني، ومتعلق بالنصرانية والإسلام فقط.

٢. أزمة الهوية والتعصب. دراسة في سيكولوجية الشباب. د. هاني الجزار. القاهرة. دار هلا للنشر والتوزيع. ط. الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

محتوى الكتاب: الكتاب في ستة فصول، هي على الترتيب: أزمة الهوية، الاتجاهات التعصبية، رتب الهوية والاتجاهات التعصبية، الدراسات السابقة، ثم فصلين دراسة تطبيقية لبحث العلاقة بين رتب الهوية الأربع المذكورة في الكتاب والاتجاهات التعصبية، واختبار عمومية الاتجاهات التعصبية، والاتجاهات التعصبية الثلاثة: الدينية والجنسية والرياضية.

الكتاب أظهر خطر التعصب وآثاره في القرن الماضي والقرن الحالي، وبحث في جذور التعصب النفسية والاجتماعية، وأن من أهمها: تشتت الهوية وانغلاقها.

الفائدة منه: والباحث يمكن أن يستفيد من الكتاب في الآثار السلوكية للانتماء.

الفرق بينه وبين هذا البحث: والفرق أن البحث أعم بحيث يشمل بواعث الانتماء، وآثاره، وأثر التدين عليه.

٣. مستوى الانتماء للوطن والرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعة. إعداد أ. د. وليد مُحَمَّد أبو المعاطي، د. منار منصور أحمد. دراسة منشورة في مجلة البحث العلمي التابع لكلية التربية في جامعة المنصورة مصر. العدد ١٩ لسنة ٢٠١٨م.

محتوى الدراسة: وهي دراسة على ٦٦٦ طالبًا في السعودية والعراق ومصر تهدف إلى بيان العلاقة الطردية بين الانتماء والشعور بالرضا عن الحياة؛ بالنظر إلى أن مظاهر نقص الانتماء للوطن تتجلى في قلة إتقان العمل، وقلة المحافظة على المال العام، والتضحية بمكتسبات الوطن، ومحاولات الانتحار، والسلوك التخريبي، وغير ذلك.

الفائدة منها: واستفاد الباحث من الدراسة في أثر الانتماء الوطني إيجابيًّا على السلوك.

الفرق بينها وبين هذا البحث: والفرق أن الدراسة خاصة بالانتماء الوطني، بينما البحث أعم كما سبق في الحديث عن الدراستين السابقتين.

١.٩ منهج البحث:

دراسة دافع الانتماء في القرآن الكريم، والمتغيرات المؤثرة في السلوك الناتج عنه. يناسبها:

١) المنهج الوصفي الاستقرائي:

بتحديد حقيقة دافع الانتماء، ثم بواعثه، ثم استقصاء آيات سور الأجزاء الخمسة الأولى المتعلقة به؛ لتنتقل الدراسة من الأحكام الجزئية إلى الحكم الكلي في هذا الدافع النفسي.

٢) المنهج الاستنباطي التحليلي:

- بالتفسير: بتحليل النصوص وتأويل مشتبهاتها بحمل بعضها على بعضٍ، تقييدًا وإطلاقًا، أو تخصيصًا وتعميمًا؛ لضمّ المؤتلف وفصل المختلف؛ حتى تتضح مشكلاتها، وتنكشف مبهماتُها؛ لتبدوَ بصورةٍ واضحة متكاملة.

- والاستنباط: بمحاولة وضع نظرية علمية عن دافع الانتماء مأخوذة من السور الثلاث.
- والنقد: بتقويم وتصحيح بعض المفاهيم والقضايا المتعلقة بهذا الموضوع، انطلاقًا من توجيهات القرآن الكريم.

١.١٠ حدود البحث:

يقتصر البحث في إظهار أثر التدين على دافع الانتماء: على الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن الكريم، والتي تشمل السور الكريمة: البقرة وآل عمران والنساء.

٢. أهمية دافع الانتماء

الحاجة إلى الانتماء هي أعلى مستوى الحاجات، فلا يصل إليها إلا من أرضى الحاجات الأدنى منها، وعليه فالشعور بالانتماء جزء من احترام الذات، وباعث الانتماء مهم للأمن النفسي؛ لأنه -كما يقول الرجيب ومبيض وغيرهما- يؤدي إلى تحقيق الذات وتأكيدها، ولن يصل إليها الفرد إلا إذا شعر بتقديره لذاته، وتقدير الآخرين له؛ فتكون له مكانته وقيمته الاجتماعية.. ويحقق ذاته بالبحث عن الشيء الذي يتميز به عن الآخرين، ثم يؤكد ذاته في المجتمع من خلال الجماعة التي ينضم إليها.

وزاد د. مبيض مَلْمَحًا مُهِمًّا وهو أن الإنسان يلجأ في تقييمه لمدركاته وآرائه وقيمه وقدراته الخاصة إلى ما يسمى (الجماعة المرجعية)؛ التي يعتقد أنه ينتمي إليها ويقارن نفسه بها، وهو ما يُسمى في علم النفس بالمقارنة الاجتماعية، فلهذه الجماعة المرجعية دور كبير في تقدير الإنسان لذاته[(١)].

(١) انظر: الرجيب. **علم النفس الاجتماعي** (ص ١١٥)، مبيض. المدخل الميسر (ص١٣٥، ١٩٩).

٣. بواعث الانتماء

بواعث الانتماء متعددة، غير أن الدافع الأساسي لها هو الشعور بالنقص، ولعل هذا الدافع هو سبب اعتبار إدوارد مواري دافعَ الانتماء مناقضًا لدافع الإنجاز، الذي يتكئ فيه الإنسان على قدراته الفردية أكثر من اعتماده على المجتمع من حوله، كما ذكر أن الانتماء مرتبط بالقلق، والقلق: شعور بنقص في القدرة على مواجهة أمر مستقبلي(١).

ولسنا في صدد مناقشة وجهة نظر مواري حول العلاقة العكسية بين الانتماء والإنجاز، غير أن رأيه يؤيد أن الشعور بالنقص دافع أساسي للانتماء، وعنه تتفرع البواعث الأخرى، والتي منها ما في المطالب الآتية:

٣.١ الحاجة إلى الأمن النفسي:

يزداد شعور الفرد بالأمن والتقدير الاجتماعي، كما يزداد اعتداده بنفسه حين ينتمي إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها: كالأسرة، أو المدرسة، أو النادي، أو النقابة، أو الشركة ذات النفوذ، أو المركز الممتاز، أو الوطن، أو الدين.. وقوام هذه الحاجة:

١. شعور الفرد بأنه جزء متكامل من جماعة يتعاون أفرادُها ويتساندون ويهتم بعضهم ببعض.

٢. قيام الفرد بعمل يفيد الجماعة.

لذا فالإنسان يسعى إلى الاندماج في واحدة من هذه الجماعات ويُفرِغ عليها من ولائه واحترامه لقوانينها الشيءَ الكثير، فإن لم يلق في هذه الجماعة ما يرجوه من أمن وقبول وتقدير، فقد يرتمي في أحضان جماعة إجرامية(٢).

٣.٢ شيوع ظاهرة الانتماء في المجتمع:

وملاحظة الإنسان لها منذ الطفولة، فيؤكد د. الرجيب أن جماعة الأقران التي تتكون من أصدقاء الطفل المقاربين له في الأعمار والميول والهوايات تساعده على إشباع حاجته إلى

(١) انظر: إدوارد مواري. **الدافعية والانفعال**. (ص١٩٨، ٢٠١).

(٢) انظر: راجح. **أصول علم النفس** (ص١١٧).

الانتماء وغيره من الدوافع، ويوضح ذلك د. مبيض بأنه مع نمو الطفل وقدرته على المشي تتوسع دائرة اتصالاته بالآخرين:

١. وأول ما يقبله الطفلُ: الأم والأب والإخوة، ومن يحتك به احتكاكًا مباشرًا في إطار الأسرة.

٢. بعد ذلك زملاؤه في المدرسة.

٣. ثم علاقات اجتماعية أكبر. ويتعلق بأعمار معينة كالشلة والعصابة مع أمثاله.

٤. ثم حس الدفاع عن الأرض.

٥. ومن ثم الأمة التي ينتمي إليها.

وهذا إذا لم يتعلم الطفل الانتماء إلى أمته أو دينه أو وطنه في صغره، وإلا فقد يختلف الترتيب الذي ذكره مأمون مبيض.. وقد نبه إلى أن الطفل يميل إلى الاقتداء بالكبار الذين يحبهم ويسعى إلى تبني اتجاهاتهم ويرغب في تقبلهم له، كما في هرم ماسلو(١).

٣.٣ العداوة:

وهو باعث مؤثر في الانتماءات؛ فقد تكون عداوة الإنسان لشخص أو بلد أو هيئة سببًا في انتمائه لأعدائهم؛ لينتقم منهم من خلال الأعداء الذين انتمى إليهم.

كما فعل مشركو المدينة النبوية، فإنهم لما رأوا قوة المسلمين وانتصارهم في معركة بدر سنة ٢هـ؛ دخلوا في حلف سري مع اليهود، وتظاهروا بالإسلام ليهدموه من الداخل، وكَثُرَت مكائدُهم للمسلمين كما لا يخفى على أدنى مطلع. وفيهم قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ

(١) انظر: **علم النفس الاجتماعي** (ص ١٣٥)، المدخل الميسر (ص١٧٢، ٢٠٤).

لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ٨- ١٤].

ولا تزال هذه الانتماءات والعصبيات وسائل لمحاربة الإسلام إلى يومنا هذا، غير أنها اتخذت لونًا جديدًا، وهو إحياء العصبيات الإقليمية والقومية والوطنية في بلاد المسلمين، وهي -كما يقول الشيخ الغزالي رحمه الله-: «صناعة غربية بحتة، ومظهر لنجاح الغارة الكبرى التي شنتها الصليبية الحديثة على ديننا للقضاء على الإسلام والإتيان على ما بقي من تراثه وكيان أمته الكبرى»[1].

٣.٤ التأثر بالغالب:

وهو باعث مهم، حتى عقد له ابن خلدون رحمه الله فصلًا في الباب الثاني من مقدمته، ذكر فيه أن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيِّهِ ونِحْلته وسائر أحواله وعوائده، وأرجع السبب في ذلك إلى أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها، وكأنها تغالط نفسها بهذا الظن من أن انقيادها للغالب ليس لسبب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك تحول هذا الظن اعتقادًا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء.

وذكر أمثلة تؤيد نظريته، منها:

١- أن الأبناء يتشبهون بآبائهم دائمًا، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمالَ فيهم.

٢- وأنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها؛ فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس في زمان ابن خلدون مع أمم الجلالقة؛ فإنهم كما قال يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت.

(١) انظر: الغزالي. مُحَمَّد. **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، (مصر. دار الكتب الحديثة. (د.ت.) ص٢٥، ٢٦.

٣- وجعل منه قولهم: العامة على دين الملك؛ إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به؛ لاعتقاد الكمال فيه اعتقادَ الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم.

ومما يؤيد هذه الفقرة الأخيرة ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تاريخه» في وصف الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز الأمويين؛ فذكر أن همة الوليد كانت في البناء، وكان الناس كذلك: يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: ماذا بنيتَ؟ ماذا عمرتَ؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء، وكان الناس كذلك: يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: كم تزوجت؟ ماذا عندك من السراري؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن وفي الصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك: يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: كم وِردُك؟ كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة؟

ثم ذكر هذه النظرية معزوة إلى الناس، وأنهم يقولون: الناس على دين مليكهم: إن كان خَمَّارًا؛ كَثُرَ الخمر، وإن كان شحيحًا حريصًا؛ كان الناس كذلك، وإن كان جَوَادًا كريمًا شجاعًا؛ كان الناس كذلك، وإن كان طماعًا ظلومًا غشومًا؛ فكذلك، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان؛ كان الناس كذلك.

غير أن ابن كثير لم يؤيد إطلاق هذه النظرية كقاعدة عامة، فقال: وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص، والله أعلم[١].

وعليه؛ فإطلاق ابن خلدون رحمه الله الحكمَ بولع المغلوب بتقليد الغالب أبدًا- فيه نَظَرٌ، وقد بين الدكتور خالد علال أن تأثر المغلوب بالغالب لا بد أن يكون بسبب الهزيمة النفسية عند المغلوب لكثرة المشاكل والعوائق والفتن والمغريات المحيطة بالبلد المغلوب أمام نقص المقاومة الداخلية، وضعف المؤسسات التي تُربي المجتمع، وترد على التحديات الخارجية والداخلية المحدقة به.

(١) انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**. (القاهرة. دار الريان للتراث. ط. الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) ٩/ ١٧٢.

فأما إذا كانت معنويات المغلوب عالية فإنه لا يتأثر بغالبه، بل ربما كان التأثر عكسيًّا، بأن يتأثر الغالب عسكريًّا بالمغلوب؛ لأنه الغالب فكريًّا، ومن أمثلة ذلك عدم تأثر أهل المغرب ومصر بالعبيديين رغم طول فترة احتلالهم لأرضهم، ومن ذلك تأثر المغول بالمسلمين حتى إنهم أسلموا وصاروا من أنصار هذا الدين العظيم، والصليبيون رغم غلبتهم؛ فإنهم أخذوا من المسلمين كثيرًا من العادات وتأثروا بهم [(١)].

٤. آثار الانتماء

يتشرب الفرد اتجاهات أعضاء المجموعات السائدة التي ينتمي إليها، فقد أكد مبيض أن الفرد مدفوع للتطابق مع معاييرها، فإن التغيرات التي تصيب المعايير السائدة فيها تنسحب بالمثل على معايير الفرد ومواقفه وقِيَمه، وهذا ما لم يتخلص من التعصب لجماعته لينظر للمعايير بعين النقد لا الرضا المطلق.

ومن الآثار الإيجابية للانتماء:

١. أن يتألم للظلم الذي يقع على الآخرين المشاركين له في الانتماء.
٢. وأن يدافع عن حقوق الذين لا يعرفهم من نفس جماعته كالذين يعرفهم[(٢)].

أما الآثار السلبية فهي الناتجة عن تجاوز الانتماءِ الحدَّ المقبول؛ فيتحول إلى عصبية عاطفية، فالعصبية: هي المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمرُه أو تلزمه لغرض. كذا في المعجم الوسيط، والمقصود به: من تنتمي إليه، فإذا لم يكن التعصب بحق فليس إلا عاطفة أو اتجاهًا أعمى عنيدًا بعيدًا عن منطق العقل، مشحونًا بشحنة انفعالية قوية، فهو كما قال الشيخ الغزالي: «حماس يشتعل، وليس حقًّا يضيء، يحول دون أن يتقبل صاحبُه الأدلةَ على خطإ

(١) انظر: ابن خلدون. عبد الرحمن بن مُحَمَّد. **المقدمة**. (بيروت. دار الكتاب اللبناني. ١٩٦٧م)، ص٢٥٨، ٢٥٩، علال. د. خالد كبير. أخطاء ابن خلدون في كتابه، **المقدمة**. (الجزائر. دار الإمام مالك. ط. الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) انظر: **أصول علم النفس** (ص١١٨)، المدخل الميسر (ص٢٠٥).

رأي أو حكمٍ اتخذه إزاء موضوع معين؛ لأن قانونه الهوى، وعلى الجهل تقوم العصبيات وتدوم».

وسواء في ذلك التعصب الطبقي أو السياسي أو الاقتصادي أو الديني؛ فالتعصب كما قال مبيض: اتجاه سلبي، ينطلق منه التمييز كسلوك غير منصف نحو مجموعة من الناس أو أحد أعضائها(١).

ثم إن للتعصب آثارًا سيئة، منها:

٤.١ الكبر:

والذي يشمل رد الحق واحتقار الناس بالتعالي عليهم، فهنا نقطتان:

١) **الاستعلاء على الناس:** فيرى لنفسه فضلًا بلون بشرته أو نسبه أو بلده، فيحتقر غيره لذلك، وتنتشر السخريات والطرائف السمجة على أجناس الناس بسبب من هذه الأسباب(٢).

وهذه الصورة ظاهرة في المنافقين الذين يرون أنفسهم فوق الناس، قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣].

وذكر د. مبيض أن من صور الانتماء العنصري: ما طرحه عالم النفس الأمريكي آرثر جينسون (١٩٢٣-٢٠١٢م) من أن الذكاء عند الزنوج الأمريكان أقل مما هو عند البيض، وقال بأن ٨٠% من الذكاء إنما هو بسبب تأثير الوراثة عن الوالدين، ولعلنا نتصور مدى الضجة الاجتماعية والسياسية التي نشأت من هذه الفكرة العنصرية.

(١) انظر: **المعجم الوسيط** (ص٦٣٤)، الغزالي. التعصب والتسامح (ص١١، ١٤، ١٧)، أصول علم النفس (ص١٢٣)، المدخل الميسر (ص٢٠٦).

(٢) انظر: الغزالي. **التعصب والتسامح** (ص١٠، ١٧).

وبسبب ربط الذكاء والقدرات العقلية بالوراثة فقد نشأت هناك عدة حركات عنصرية، تدعو مثلًا إلى التخلص ممن اعتقدوا أن فيهم ضعف الجنس البشري، ومنها حملة تعقيم الرجال والنساء ممن عندهم الأمراض النفسية لمنع إنجابهم للضعاف كما اعتقدوا(١)!

٢) **رد الحق**: وقد يكون رد الحق بدافع الكبر، كما أنه قد يكون بسبب أسر العادات، وكلاهما ناتج عن التعصب للانتماء القديم ضد الحق القادم من الغير:

أ- فمثال رد الحق كِبرًا: موقف اليهود زمن النبي ﷺ من القرآن والإسلام، رغم أنهم كانوا يخبرون المشركين بقرب ظهور خاتم المرسلين، وجاء القرآن موافقًا لما في توراتهم من أصول الديانات ومن أوصاف النبي والقرآن والصحابة!

لكنه البغي والكبر الذي خرجوا منه بغضب الله وعذابه المهين، حيث زعموا أنهم لا يؤمنون إلا بما أُنزل عليهم، مع أنهم كفروا بما أُنزل عليهم قبل أن يكفروا بالقرآن، حين كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، وحين عبدوا العجل، وحين قالوا: سمعنا وعصينا.

كل ما سبق قاله الله تعالى يكشف عوارهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٨٩- ٩٣].

(١) انظر: مبيض. **المدخل الميسر**، (ص٥٠).

ب- ومثال رده لأسر العادة: قوله تعالى في المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]؛ فهذا -كما قال السعدي-: «دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هُدُوا لرشدهم، وحَسُنَ قصدُهم؛ لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره؛ تبين له الحق قطعًا، واتبعه إن كان مُنصفًا»(١).

فانظر كيف أسرتهم عاداتهم التي ورثوها من آبائهم حتى نحَّوا عقولهم جانبًا وبَدا تصرفهم وكأنهم بلا عقول، قد سُدت منافذ الوعي عندهم فهم لا ينطقون بالحق ولا يفهمونه ولا يرون آثاره، قال الله عنهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١].

٤.٢ الظلم والعدوان:

لأن المتعصبين لانتماءاتهم يرون أن غيرهم يجب أن يهبطوا إلى تحت، وليس لهم أي حقوق؛ لتنتصب فوقهم العصبيات الخاصة ببعض البشر؛ سواء عصبيات الأوطان أو الألوان أو الأنساب أو الدين أو غيرها.

قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي: إنَّمَا حَمَلهم على جُحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حَرَج في أكل أموال الأميين، وهم العرب؛ فإن الله قد أحلها لنا. قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي: وقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوا بهذه الضلالة، فَإن الله حَرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بُهْت. أفاده ابن كثير.

(١) انظر: السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة ناشرون. ط. الثانية ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م (ص٨١).

وأورد الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله حديثًا مرسلًا عن سعيد بن جبير قال: «لما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل؛ قال نبي الله ﷺ: «**كذب أعداء الله؛ ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمَيَّ هاتين، إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**».

فليس للانتماء أثر في أداء الحقوق، ولهذا شعر بعض المسلمين بأنهم يفعلون خطأ بدافع اختلاف الانتماء؛ فذهب أحدهم إلى ابن عباس رضي الله عنهما كما أورده ابن أبي حاتم، والراوي: هو صعصعة بن يزيد، قال: «سألت ابن عباس قلت: إنَّا نسير في أرض أهل الذمة نصيب منهم بغير ثمن. قال: فما تقولون؟ قال صعصعة: نقول: لا بأس به. فقال له ابن عباس: أنتم تقولون كما قال أهل الكتاب: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾».

ويحذر الغزالي من أنه بسبب هذا التعصب الذميم تنعدم عندهم قيمة الفرد، ويهون عندهم أصحاب الكفاءات من غيرهم؛ لمزاحمة أصحاب الأنساب العريقة أو الجاه الوثيق، أو البشرة البيضاء، أو الأوطان المتميزة!! حتى إن غيرهم ممن يصل إلى منزلة علمية أو سياسية أو اجتماعية لن تكون مناعته الاجتماعية إلا على قدر انتمائه[1].

٤.٣ التنازع والشقاق:

وذلك من آثار التعصب للانتماءات، والملاحظ أن أعداء الإسلام يطرقون هذا الباب كلما أرادوا أن يهزموا المسلمين، فهم يثيرون في العصر الحديث العصبيات الجاهلية والقوميات التي يريدون بها أن ينسى المسلمون إسلامهم، والوطنيات التي تحصر كل بقعة من بلاد

(١) انظر: الرازي، الإمام عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق أسعد الطيب، (مكة. مكتبة الباز، ط. الثالثة ١٤١٩هـ) ٢/ ٦٨٤، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أ. د. حكمت بشير ياسين، (الدمام. دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٣٠هـ) ٢/ ٣٦٤، الغزالي. **التعصب والتسامح** (ص١١، ١٧، ١٨).

الإسلام حول نفسها، ثم داخل القطر الواحد تشتعل النعرات القبلية والمناطقية والطبقية، ولا يُرجى من الأمة خير وهي على هذه الحال.

وفي أول الإسلام حاول اليهود فعل ذلك، فبعد أن جمع الله شمل الأوس والخزرج بالإسلام، وتناسوا ماضيهم الدامي وعداوتهم الجاهلية، مَرَّ شاس بن قيس –وكان شيخًا يهوديًّا طاعن السن– على نفر منهم قد جمعهم مجلس واحد يتحدثون فيه، ووصف ابنُ إسحاق شاسَ بن قيس بأنه كان عظيم الكفر، شديد الضِّغْنِ على المسلمين، شديد الحسد لهم؛ ولذا غاظه ما رأى من أُلْفَتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، وعلم أنه ليس لليهود معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار؛ لأن اليهود إنما كانوا يتأكلون بالحروب؛ فأمر شابًّا من يهود أن يجلس معهم، ثم يذكر يوم بُعَاث –وهي حرب كانت بين الأوس والخزرج قبل أن يسلموا– وما كان قبله، فأنشدهم بعضَ ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، فأثارهم، فتكلموا عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى قال أحدهم: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعًا، وتواعدوا إلى الحرة بظاهر المدينة، وأخذوا سلاحهم.

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين، اللهَ اللهَ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بين قلوبكم؟!**».

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيدٌ من عدوهم؛ فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩].

وأنزل الله في الأوس والخزرج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٠- ١٠٥][1].

٤.٤ التناقض والنفاق:

وذلك بسبب الاضطراب بين انتماء قديم ضال، وانتماء حديث فيه الهدى، فيُظهر الانتماء للإسلام ظاهرًا، ويبقى على انتمائه القديم في السر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]؛ حرصًا على انتمائِهم وصدقِ ولائهم لشياطينهم من اليهود.

وربما أدركت أحدَهم الشفقةُ على من يحب فأمره باتباع النبي ﷺ، وهو باق على كفره، وهذا تناقض يدل على ضعف العقل، قال أنس ﷺ: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه**

(١) انظر: ابن هشام. الإمام أبو مُحَمَّد عبد الملك، **السيرة النبوية**. (دمشق. دار ابن كثير، ط. الثالثة. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م)، ص٤٧٢- ٤٧٣.

من النار»[١].. وهذا وأمثاله يوبخهم القرآن في قول الله تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

٥. ٤ الحسد:

وهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وأكثر ما يكون الحسد بين أصحاب انتماءين مختلفين، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥]، فذكر هؤلاء الحاسدين بوصفهم الذي ينتمون إليه، وكأن انتماء أولئك لليهودية أو النصرانية، وانتماء هؤلاء للوثنية، بعث الحسد في قلوبهم تجاه المسلمين لكل خير ينزل عليهم من الله سبحانه وتعالى.

٥. أثر التدين على دافع الانتماء

التدين عمومًا هو أحد صور الانتماء المهمة، وحسب دين الإنسان الذي ينتمي إليه يكون توجيهه، غير أن الحديث هنا عن أثر التدين الصحيح الموافق للفطرة، والقائم على الإيمان بالله وجميع رسله وكتبه، وهو التدين بدين الإسلام، وأكبر آثار هذا التدين: **تقديم الانتماء للإسلام على كل انتماء**، مع الاعتراف ببقية الانتماءات التي لا تناقضه، كالانتماء إلى قبيلة أو وطن أو غير ذلك، ولهذا أثر كبير على سلوك الإنسان المنتمي لأي جهة كانت.

وقد ذُكر أنه حصل من بعض مؤمني أهل الكتاب ﷺ أنهم كانوا يُعظمون السبت ويكرهون لحم الإبل وألبانها بعدما أسلموا، وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتابُ الله؛ فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصلح: سلم، والمعنى: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه، ولا تتجاوزوه إلى غيره؛ قال سبحانه:

(١) **صحيح البخاري**. **كتاب الجنائز**. باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (ح١٣٥٦).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢٠٨- ٢١٠][1]، ففي طلبهم ما يناقض أحكام الإسلام، ولذا نهاهم عنه.

ولتوضيح ضرورة تقديم الانتماء للإسلام؛ لا بد من معرفة سبب تقديمه وبيان حقيقته وخطر مخالفة هذا الانتماء ونتيجته في النقاط الآتية:

٥.١ سبب تقديمه:

أنه دين البشرية جميعًا، وانتسابها إليه انتساب للحق، فإن فيه تلاوة كتاب الله الذي هو تعاليمه للبشرية، وفيه العلم النافع، وفيه تزكية النفوس بتخليتها من أمراضها وتحليتها بكريم الأخلاق.

وفي دعاء الخليل وابنه عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٨، ١٢٩].

وأن هذا هو الموافق للفطرة التي هي صبغة الله، كما وصفها الله سبحانه، إشارة إلى ما أوجده الله تعالى في الناس من العقل المتميز به عن البهائم كالفطرة، وكانت النصارى إذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء عمودية، يزعمون أن ذلك صبغة! فقال الله تعالى لرسوله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨] أفاده الراغب رحمه الله[2].

٥.٢ حقيقته:

(١) انظر: **تفسير البغوي** (١/ ٢٦٧)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠).

(٢) انظر: الأصفهاني. الحسين بن مُحَمَّد الشهير بالراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان داوودي. (دمشق. دار القلم، ط. الخامسة ١٤٣٣هـ، ٢٠١١م) ص٤٧٥.

أن يكون الله ورسله أحب إليه مما سواهم، وعليه يعقد الولاء والبراء.. والانتساب إلى أنبياء الله عمومًا، والخليل خصوصًا.

ولما زعم اليهود أن في اتباعهم الهدى، وزعم النصارى أن في اتباعهم هم الهدى، قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥]؛ فعلَّم اللهُ نبيه محمدًا ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، كما قال الطبري، فقال: «قل لهم: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي نتفق جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا؛ فإن ذلك لا سبيل لنا على الاجتماع عليه»[(١)].

ثم وجههم إلى الانتماء لجميع الأنبياء، فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

٣.٥ خطر مخالفة هذا الانتماء:

الوقوع في العصبية المذمومة، وفي معاداة الله ورسله، وقد قال الله تعالى بعد دعوتهم إلى الانتماء لجميع الرسل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]. والشقاق عند كثير من المفسرين: العداوة والمناوأة والمحاربة والمعاندة لا غير، فهم ليسوا مِن طلب الحق في شيء، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣]، أي: عادَوه[(٢)].

والوقوع في الهوى والظلم، وفي تحذير الله لرسوله من موافقتهم، قال عز وجل له: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١١٥)، تفسير البغوي (١/ ١٧٣)، الزمخشري (١/ ١٤٦).

بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥]، فوصف ما هم فيه بالهوى، ووصف اتباعهم بالظلم.

غير أن أعظم آثار العصبية العمياء للانتماءات المتنوعة يكون في الآخرة، حين يتخلى الرؤساءُ عن المرؤوسين، والقادةُ عن الأتباع، ويظهر الفرق بين الانتماءات المختلفة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

٥.٤ نتيجته:

أن تكون قِيَم الإسلام أساس الحكم على الأمور، وأن يشفى المجتمع من داء التعصب المذموم، ويترتب على ذلك:

أ- **نفي الكبر**: ومما يذكر في هذا الموطن: ما كانت عليه قريش قبل الإسلام من العصبية لنسبها ولجوار البيت الحرام، حتى جعلوا لأنفسهم امتيازات في المناسك وغيرها، وسموا أنفسهم: الحُمس، فأزال الله عنهم هذا وأمرهم بالتواضع، ومن ذلك قوله سبحانه لهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

ونبههم وسائر العرب إلى أن تفاخرهم بآبائهم لا يجني لهم شيئًا، وإنما ذِكر الله وسؤاله من فضله، فقال عز من قائل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠- ٢٠٢].

ومن أجمل صور التواضع ونفي الكبر عند المسلمين ما رواه الحاكم عن طارق بن شهاب قال: «خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مَخاضةٍ وعمرُ على ناقة له، فنزل عنها وخلع خُفَّيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أميرَ المؤمنين، أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟! ما يسُرُّني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوَّهْ! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة؛ جعلته نكالًا لأمة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ إنَّا كنا أذلَّ قومٍ، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله»(١).

ب- **نفي الفخر، والتحلي بالشكر**: فإن انتساب الإنسان إلى دين عظيم، أو نسب شريف: نعمةٌ من الله تستحق الشكر عليها وتحمل تبعاتها.

وقد قال الله لبني إسرائيل يذكِّرهم نِعَمَهُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٧، ٤٨]. أورد رشيد رضا رحمه الله كلامًا نفيسًا، خلاصته: أن الله ناداهم باسم أبيهم الذي هو أصل عزهم وسؤددهم ومنشأ تفضيلهم، وأسند النعمة إليهم جميعًا لا إليه وحده؛ لأن النعمة عمتهم، والتفضيل شملهم.

وطلب منهم أن يذكروا نعمته، وتفضيله إياهم على الناس؛ إحياءً لشعور الكرامة في نفوسهم؛ لأن الذي يرى نفسه رذلًا خسيسًا؛ لا يبالي ما يفعل، ومن يرى نفسه مُفَضَّلًا مُكَرَّمًا؛ فإنه يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه وتذهب بفضله، فتنهض الهمة إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة والترفع عن الرضا بما دون المقام الذي رفعهم الله إليه.

(١) **المستدرك على الصحيحين** (١/ ٦٢ ح ٢٠٧) وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وكان الواجب عليهم أن يكونوا أكثر الناس لله شكرًا، وأشدهم لنعمته ذِكرًا، وذلك بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله لهدايتهم، ولكنهم جعلوا النعمة حجة الإعراض عن الإيمان، وسبب إيذاء النبي عليه السلام؛ لأنهم زعموا أن فضل الله تعالى محصور فيهم، وأنه لا يبعث نبيًّا إلا منهم(١).

ولذا تجد الحكم الإسلامي لا يصادر عقيدة أخرى، ولا يعطل عبادة أخرى، مع بطلانها في ذاتها؛ لأنه يقبل في يسر أن تجاوره أديان أخرى وأن يعيش مع أتباعها في سلام، وعليه تبنى كثير من الأحكام الشرعية التي قررها فقهاء الإسلام في مدوناتهم(٢).

وكان هذا سببًا في إسلام بعض المنصفين، منهم إبراهيم خليل أحمد الذي كان قسيسًا مبشرًا، وهو من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩م، وأُرسل عام ١٩٥٤م إلى أسوان سكرتيرًا عامًّا للإرسالية الألمانية السويسرية، وكانت مهمته الحقيقية: التنصير والعمل ضد الإسلام. ولكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين، وأشهر إسلامه رسميًّا عام ١٩٥٩م، وكتب العديد من المؤلفات، أبرزها ولا ريب: مُحَمَّد في التوراة والإنجيل والقرآن.

يقول رحمه الله: «قرأت قول الله تعالى: ﴿ ۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقرأت ما جاء بالإنجيل: "إذن لسنا أولاد جارية، بل أولاد حرة"، وزال عني العجب عن التفرقة العنصرية عند الأمريكيين في أيامنا هذه بين البيض والسود، وزاد إعجابي وإجلالي للمسلمين. إن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر والموظف كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، راكعين ساجدين، يخشون ربهم ويرجونه الرضا والعفو؛ فأيقنت أن مجد الإسلام والمسلمين في هذا التساند الجميل، والتآخي الحبيب"(٣).

(١) انظر: رضا. السيد مُحَمَّد رشيد، ت**فسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م) ١/ ٢٤١، ٢٥١- ٢٥٦.

(٢) انظر: الغزالي. **التعصب والتسامح** (ص٦، ٢٢).

(٣) انظر: خليل، عماد الدين، ق**الوا عن الإسلام**، (دمشق، دار ابن كثير، ط. الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م) ص٤٤، ١٢٨ عن كتاب: مُحَمَّد في التوراة والإنجيل (ص١١).

ت– توحيد صفوف البشرية، وتوجيه الخلافات في إطار الأخوة المقدسة:

وهذا ما فطن له الصحابة بعد أن حاول اليهودي إثارة النعرات الجاهلية بينهم، وجاءهم توجيه الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فعلموا وعلم مَن بعدَهم ممن سار على هداهم: أن الإسلام هو الرابطة التي تقرب البعيد، والرحم التي تعطف الأفئدة دون عصبية، بل إن تعاليمه تسري على أهله قبل غيرهم، وتعاونهم في حدود دستور الإسلام القائل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢][(١)].

ث– **التحلي بالعدل المجرد:**

دون تفريق بين مسلم وغير مسلم، وبين قريب وبعيد، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

وفي هذه الآية العظيمة بيان الباعث على قول الحق، والمانع منه، وأثر كل ذلك:

فالباعث على قول الحق قوله تعالى: ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾، أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًّا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان.

والمانع منه الهوى الحامل على:

–العصبية والأنانية، ولهذا حذر منهما فقال: ﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك أو عليهم؛ يقول ابن كثير: «فإن الحق حاكم على

(١) انظر: الغزالي. **التعصب والتسامح** (ص١٤).

كل أحد، وهو مقدم على كل أحد، وإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه».

-والشفقة على فقير عليه الحق، والطمع في نوال غنيٍّ عليه الحق، فقال تعالى: ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾؛ أي: هو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما.

ثم حذر من اتباع الهوى الذي يحمل على ترك العدل فقال عز وجل: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾، قال التابعي الجليل قتادة السدوسي رحمه الله فيما رواه عنه الطبري: «أقم الشهادة يابن آدم، ولو على نفسك، أو الوالدين، أو على ذوي قرابتك، أو شَرَفِ قومك؛ فإنما الشهادة لله وليست للناس، وإن الله رضي العدل لنفسه، والإقساطُ والعدل ميزانُ الله في الأرض:

- به يردُّ الله من الشديد على الضعيف، ومن الكاذب على الصادق، ومن المبطل على المحق.
- وبالعدل يصدِّق الصادقَ، ويكذِّب الكاذبَ، ويردُّ الله المعتدي ويذلُّه.
- وبالعدل يصلح الناس». ا هـ.

ويرى الإمام الطبري رحمه الله أن هذه الآية نزلت تأديبًا من الله جل ثناؤه لعباده المؤمنين لئلا يفعلوا ما فعله الذين عذَروا بني أبيرق في سرقتهم ما سرقوا وخيانتهم ما خانوا، والذين نزل في شأنهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥، ١٠٦].

وقصتهم أوردها أهل الحديث والتفسير، وخلاصتها: أن قتادة بن النعمان ﷺ أخبر أن عمه رفاعة بن زيد اشترى حِملًا من الدقيق فجعله في غرفة له، وفي الغرفة سلاح ودرع وسيف، فنُقبت الغرفة وأُخذ الطعام والسلاح؛ فجعلوا يسألون في الحي، فقال بنو أبيرق -وهم من جماعتهم-: والله ما نرى صاحبَكم إلا لبيدُ بن سهل، وهو رجل صالح، فلما سمع لبيد اخترط سيفه، وقال: أنا أسرق! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينُنَّ هذه السرقة!

فقالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

فذهب فأخبر النبي، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له أُسير بن عروة فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار –وهنا جاءت العصبية قبل التحري– ، فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا –أهلِ إسلام وصلاح– يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته، فقال: «**عمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة؟!**».

فأصابه غم شديد بسبب ذلك.

وذكر الطبري والبغوي أن أحد بني أبيرق خبأ الدقيق عند رجل من اليهود كان يأتيهم، يقال له: زيد بن السمين، فوجدوه عنده، فجاء اليهودي إلى نبي الله ﷺ يبكي بكاء الأطفال من شدة التذلل، فقال: والله ما سرقتها يا أبا القاسم، ولكن طُرحتْ عليَّ! وكان للرجل الذي سرق جيرانٌ يبرِّئونه ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله، إن هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به! قال: حتى مال عليه النبي ﷺ ببعض القول، فعاتبه الله عز وجل في ذلك.

فالإسلام –كما قال الغزالي–: «لم يقم أبدًا على اضطهاد مخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، ولا يفرق بين الناس في حساب المثوبة أو العقوبة بأوطان أو أنساب أو ألوان، ولا يختلف في مقياس الرذيلة والفضيلة في الدنيا باعتبار تلك الانتماءات»[(١)].

(١) انظر: **جامع الترمذي**. كتاب التفسير. باب: ومن سورة النساء (ح٣٠٣٦) وقال: «هذا حديث غريب». وصححه الحاكم (٤/ ٣٨٨ ح٨١٦٤)، وقال: «على شرط البخاري ومسلم»، وسكت عنه الذهبي، وانظر: **الطبري** (٩/ ١٧٦– ١٩٠) (٩/ ٣٠١،٣٠٥)، **تفسير البغوي** (١/ ٦٩٨)، **تفسير ابن كثير** (٣/ ٢٣٧– ٢٣٨)، **التعصب والتسامح** (ص٦، ١٣).

أهم النتائج

١- دافع الانتماء هو الحاجة إلى انتساب الإنسان إلى شخص أو جماعة شبيهة به أو محبة له، والميل إليهم؛ لمحاولة الارتقاء بالذات بالتعريف بها من خلالهم.

٢- ويعد دافع الانتماء مطلبًا مُلِحًّا عند كل إنسان لتحقيق الأمن النفسي، غير أن السلوكيات الناتجة عن هذه الحاجة تؤثر سلبًا على أمن الناس، حيث حملت الكثيرَ على العنصرية الظالمة.

٣- أهمية البحث تظهر مع سيطرة المادية على حياة الناس، وغفلتهم عن أثر التدين في تعديل السلوك فيحرمون من الأمن النفسي الذي يكون مع التدين الصحيح الموافق للفطرة والقائم على الإيمان بالله وجميع رسله وكتبه، وهو التدين بدين الإسلام.

٤- أكبر آثار هذا التدين: تقديم الانتماء للإسلام على كل انتماء؛ لأنه دين البشرية جميعًا، وانتسابُها إليه انتساب للحق، مع الاعتراف ببقية الانتماءات التي لا تناقضه، ولهذا أثر كبير على سلوك الإنسان المنتمي لأي جهة كانت. وحقيقته: أن يكون الله وجميع رسله أحب إلى الإنسان مما سواهم، وعليه يعقد الولاء والبراء.

٥- وبهذا الانتماء يتخلص من الوقوع في العصبية المذمومة ومن الوقوع في الهوى والظلم، ومن الكبر والفخر، ويتحلى بالشكر، وتتوحد صفوف البشرية بتوجيه الخلافات في إطار الأخوة المقدسة، ويتحلى المتدين بالعدل المجرد عن الانتماءات.

التوصيات

١- يوصي الباحث بإجراء دراسات ميدانية تظهر أثر التدين على سلوكيات الناس الناتجة عن الانتماءات المختلفة.

٢- وباستقراء آيات القرآن الكريم التي تعالج هذا الدافع النفسي المهم؛ لأن القرآن الكريم كلام الله الخبير بالإنسان وبما تضمره نفسه.

٣- ويوصي بالعناية بالمناهج الدينية وإدخالها في مختلف التخصصات العلمية؛ لما فيها من تهذيب السلوك الإنساني.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون (قطر. وزارة الأوقاف، ط. الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).

٢- ابن فارس. أحمد بن فارس بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون (بيروت. دار الفكر. ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

٣- **ابن كثير**. إسماعيل بن عمر.**البداية والنهاية**. (القاهرة. دار الريان للتراث. ط. الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**. ، تحقيق أ.د. حكمت بشير ياسين، (الدمام. دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٣٠هـ).

٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي. **لسان العرب**. (بيروت. دار صادر ط. السادسة ٢٠٠٨م).

٦- أبو مُحَمَّد عبد الملك. **السيرة النبوية. ابن هشام**. (دمشق. دار ابن كثير، ط. الثالثة. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

٧- الأزهري. أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد **تهذيب اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة. الدار المصرية للتأليف والترجمة. (د.ت.).

٨- الأصفهاني. الحسين بن مُحَمَّد الشهير بالراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق صفوان داوودي. (دمشق. دار القلم، ط. الخامسة ١٤٣٣هـ، ٢٠١١م).

٩- البخاري. الإمام مُحَمَّد بن إسماعيل. **الجامع المسند الصحيح**، المشهور بصحيح البخاري. (بيروت. مؤسسة الرسالة ناشرون. ط. الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

١٠- البعلبكي. منير. **المورد قاموس إنكليزي عرب**ي. (بيروت. دار العلم للملايين. بيروت. ٢٠٠٦م).

١١- بينيش. هيلموت. ت**أطلس علم النفس**. رجمة: انطوان إ. الهاشم. (بيروت. المكتبة الشرقية، ط. الثانية ٢٠١٤م).

١٢- الترمذي. الإمام مُحَمَّد بن عيسى. **الجامع المختصر من السنن**. اعتنى به: مشهور حسن. (الرياض. مكتبة المعارف. ط. الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

١٣- الجوهري. إسماعيل بن حماد **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**.. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

١٤- الحاكم. الإمام مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. (بيروت. دار الكتب العلمية. ط. الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م).

١٥- الحملاوي، أحمد مُحَمَّد. **شذا العرف في فن الصرف**. (دمشق. مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط. الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

١٦- خليل. عماد الدين، **قالوا عن الإسلام**. (دمشق، دار ابن كثير، ط. الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م).

١٧- دافيدوف. ليندا ل. **مدخل علم النفس**. ترجمة: د. سيد الطواب، د. محمود عمر. (الولايات المتحدة. دار ماكجروهيل. ط. الثانية (د.ت.)).

١٨- راجح. د. أحمد عزت.**أصول علم النفس**. (القاهرة. دار المعارف. ط. الحادية عشرة ١٩٩٩م).

١٩- الرازي. الإمام عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي حاتم **تفسير القرآن العظيم**. ، تحقيق أسعد الطيب، (مكة. مكتبة الباز، ط. الثالثة ١٤١٩هـ).

٢٠- الرجيب. د. يوسف علي فهد **علم النفس الاجتماعي**.. (الكويت. ط. الأولى ٢٠٠٣م).

٢١- **رضا**. السيد مُحَمَّد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

٢٢- السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.** تحقيق عبد الرحمن اللويحق. (بيروت. مؤسسة الرسالة ناشرون. ط. الثانية ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٢٣- عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون. **مقدمة ابن خلدون.** (بيروت. دار الكتاب اللبناني. ١٩٦٧م).

٢٤- علال. د. خالد كبير. **أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة.** (الجزائر. دار الإمام مالك. ط. الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

٢٥- الغزالي. مُحَمَّد. **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.** (مصر. دار الكتب الحديثة. (د.ت.)).

٢٦- القزويني. مُحَمَّد بن يزيد **السنن. ابن ماجه.** اعتنى به: مشهور حسن. (الرياض. مكتبة المعارف. ط. الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٢٧- لزمخشري. محمود بن عمر.**أساس البلاغة.** ا (بيروت. دار النفائس. بيروت. ط. الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

٢٨- مبيض. الدكتور مأمون. **المدخل الميسر إلى علم النفس.** (بيروت. المكتب الإسلامي. ط. الأولى ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

٢٩- مجمَّع اللغة العربية. **المعجم الوسيط.** (مصر.مكتبة الشروق الدولية، ط. الرابعة. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٣٠- مُحَمَّد بن جرير. تحقيق: أحمد ومحمود مُحَمَّد شاكر، **جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري.** (بيروت. مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م).

٣١- مرتضى الزَّبيدي. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض **تاج العروس من جواهر القاموس.** ، تحقيق مجموعة من المحققين (الكويت. دار الهداية (د.ت.)

٣٢- مواري. إدوارد. **الدافعية والانفعال**. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. (القاهرة. دار الشروق. ط. الأولى ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م).

٣٣- نجاتي. د. مُحَمَّد عثمان. علم النفس والحياة. (الكويت. دار القلم. ط. الثامنة عشرة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).